Yasser Enad KADHIM ¹ & Kamal Ahmed HUSSEIN ²

**EFFECT OF THE SOCIAL CONTEXT IN THE
INTERPRETATION OF LITERARY TEXTS AND THEIR
INTERPRETATION OF SCHOLIA, FOR EXAMPLE**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.1-3.5>

Research Article

Received:

07/11/2020

Accepted:

05/12/2020

Published:

01/01/2021

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

This research is marked by the (effect of the social context in the interpretation of literary texts and their interpretation of scholia, for example) this research stands when studying Arabic scholia in the light of one of the theories of modern language science, the political theory that was considered one of the most famous linguistic schools. Modern that can be applied to creative texts, and i have chosen scholia as a domain for application, because of the ambiguity of these scholia at times, and the lack of interconnection between them and the request made at other times, which requires a reference to the social context that produced them in order to understand them better, focusing to know the elements of the context of the situation in the understanding and interpretation of literary texts.

Key words: Social Context, Literary Texts, Interpretation, Scholia.

¹ Researcher, Sunni Endowment, Iraq, yassirinad@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0002-6210-4599>

² Prof. , Samarra university, Iraq, liqaa.alsamaraa@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-9149-1228>

أثر السياق الاجتماعي في فهم النصوص الأدبية وتفسيرها التوقعات مثلاً

ياسر عناد كاظم³
كمال أحمد حسين⁴

الملخص

يقف هذا البحث عند دراسة التوقعات العربية في ضوء إحدى نظريات علم اللغة الحديث؛ وهي النظرية السياقية التي عُدت واحدة من أشهر المدارس اللسانية الحديثة التي يمكن تطبيقها على النصوص الإبداعية، وقد اخترت التوقعات مجالاً للتطبيق؛ لما تتسم به هذه التوقعات من غموض حيناً، وعدم ترابط بينها وبين الطلب المقدم أحياناً أخرى، مما يتطلب الرجوع إلى السياق الاجتماعي الذي أنتجها من أجل فهمها على نحو أفضل، مركّزاً على معرفة عناصر السياق الاجتماعي أو سياق الحال في فهم النصوص الأدبية وتفسيرها. الكلمات المفتاحية: السياق الاجتماعي، نصوص أدبية، تفسير، توقعات.

المقدمة:

تناول هذا البحث دراسة التوقعات العربية دراسة حديثة على وفق سياق الحال أو السياق الاجتماعي؛ مركّزاً على دور معرفة عناصر سياق الحال في فهم النصوص الأدبية. إن معنى أي نص من النصوص- الذي لم يحدده السياق اللغوي- يتحدّد بوساطة سياق الحال الذي نشأ فيه، فكما وثقت الصلة بينه وبين النص أمكننا أن نفهمه بشكل أوضح؛ إذ لسياق الحال أو الموقف أثر بارز في تحديد معنى النص وفهمه؛ فإننا لا يمكن استخلاص المعنى من النص نفسه بالاعتماد على الأصوات الموجودة في حروفه، والجمل، والتراكيب ودلالاتها فحسب(1)؛ لذا لابدّ من النظر إلى المتكلم، والمخاطب، والزمان، والمكان، وما يرافق الكلام من إشارات جسمية وإيماءات وما يحيط به من ملابسات وظروف ذات صلة، وغير ذلك، وكل ذلك يمنح النص معنى ويوضحه؛ فسياق الموقف يكشف المعنى، ويزيل عنه الإبهام والغموض(2). وقد وقع اختياري على التوقعات مجالاً للتطبيق؛ لما تتسم به هذه التوقعات من غموض وإبهام حيناً، وعدم ترابط بين التوقيع والطلب المقدم أحياناً أخرى، مما يتطلب الرجوع إلى السياق الاجتماعي الذي أنتجها من أجل فهمها على نحو أفضل، فكان للسياق الاجتماعي دور رئيس وبارز في عملية فهمها وتوضيحها. وقد تضمن البحث على جانبين: جانب نظري وآخر تطبيقي. وقد استعنت بمصادر كانت خير معين لإتمام البحث، وهي مرتبة في ثبوت المصادر والمراجع، ثم ختمت هذه الدراسة بالنتائج التي توصلت إليها. وأخيراً وليس آخراً إن أحسنت فمن الله وحده وإن أسأت فمن نفسي والشيطان، والله أسألُ التوفيق والسداد والاحلاص في القول والعمل.

³ الباحث، الوقف السنّي، العراق، yassirinad@gmail.com

⁴ أ.د.، جامعة سامراء، العراق، liqaa.alsamaraa@gmail.com

الجانب النظري مفهوم السياق الاجتماعي أو سياق الحال

أ- تعريفه:-

• السياق الاجتماعي لغة:

للسياق عدّة معانٍ عند أصحاب المعجمات، منها:

1. التتابع، فقد جاء في مقاييس ابن فارس أن: ((السين والواو والقاف أصل واحد، وهو خذو الشيء، يقال:- ساقه يسوقه سَوْقًا، والسَّيْقَةُ: ما استيق من الدَّوَابِّ... والسَّوْقُ مشتقة من هذا؛ لما يُساق إليها من كُلِّ شيء)) (3)، وفي الصحاح، يقال: ((وَلَدْتُ فَلَانَةً ثَلَاثَةَ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، أَي: بَعْضُهُمْ عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، لَيْسَتْ بَيْنَهُمْ جَارِيَةٌ)) (4)، ويقال أيضًا: ((وَقَدْ انْسَاقَتْ وَتَسَاوَقَتْ الْإِبِلُ تَسَاوُقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فِيهِ مُتَقَاوِدَةٌ وَمُتَسَاوِقَةٌ)) (5).

2. الانتظام، وورد هذا المعنى في اللسان، فيقال: ((ساق إليها الصّدّاق والمهر سِيقًا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأنَّ أصل الصّدّاق عند العرب الإبل، وهي التي تُساق... والسّياق: المهر... وَيُقَالُ: رَأَيْتُ فَلَانًا بِالسَّوْقِ أَي: بِالْمَوْتِ يُسَاق سَوْقًا، وَأَنَّهُ نَفْسُهُ لِسَاقٍ. والسّياق: نَزْعُ الرُّوحِ)) (6)، ومعلوم أنَّ سوق الإبل يكون بانتظام وتتابع، وكذا خروج الروح يكون بانتظام أيضًا؛ يبدأ من الأطراف السفلى وينتهي بالعليا ثم الموت.

3. الانسجام والترابط، قالوا مجازًا: ((هو يسوق الحديث أحسن سِياقٍ، وإليك يساق الحديث، وكلام مساقه إلى كذا، وجئتُك بالحديث على سَوْقِهِ، على سرّده)) (7)، وغيرها من المعاني الحقيقية والمجازية، وكلّها لا تخلو من معنى التتابع والانتظام والاتصال والانسجام (8). وهذه المعاني المعجمية لها علاقة وثيقة بالمعنى الاصطلاحي للسياق؛ فبين السياق والنصّ اتصال وانسجام وترابط، وبدون معرفة هذه العلاقة لا يمكن فهم الكلام (النصّ).

وأما كلمة الاجتماعي فهي من الجذر (جَمَعَ)، و((الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعًا)) (9)، ويقال ((جَمَعْتُ الشَّيْءَ إِذَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَتَجَمَّعَ الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيْضًا مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا)) (10)، ومصطلح الحال أقدم في التراث من مصطلح الاجتماعي، ويبدو أنّه أوضح للصورة وأقرب للتعريف الاصطلاحي، فيمكن أن نعرفه أيضًا؛ فكلمة الحال هي من الجذر (خَوَلَ)، و((الحاء والواو واللّام أصل واحد، وهو تَحَرُّكٌ فِي دَوْرٍ... وَحَالَ الشَّخْصُ يَحْوُلُ، إِذَا تَحَرَّكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُتَحَوِّلٍ عَنْ حَالَةٍ)) (11)، والحال: هو ما كان عليه الإنسان من خير أو شرّ، والجمع أحوال وأحولة، يُقَالُ حَالُ فُلَانٍ حَسَنَةٌ وَحَسَنٌ؛ يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ (12).

وهذا المعنى المعجمي للحال: (التَحَرُّكُ) أو (التحوّل من حال إلى حال)؛ مرتبط بالمعنى الاصطلاحي للمقام أو سياق الحال؛ لأنّ صور الكلام تتغيّر وتتأثر تبعًا لطبيعة المتكلم والمتلقي والمشاركين في الحدث الكلامي وما هم عليه من حال؛ ((فالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا، وإنما هو جملة من المواقف الاجتماعية المتحركة)) (13).

• السياق الاجتماعي اصطلاحًا:

سياق الحال أو السياق الاجتماعي يطلق عليه مصطلح: (Context Of Situation) وهو مصطلح من مصطلحات علم اللغة الحديث (14)، ويصنّف في ضمن علم اللغة الاجتماعي؛ لأنّ من أهمّ خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي للمشاركين في الموقف الكلامي (15)، وقد عرّفه الدكتور تمام حسان بقوله: ((هو يضمّ المتكلم، والسامع أو السامعين، والظروف، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثمّ التراث، والفلكلور، والعادات والتقاليد، والمعتقدات، والخزعبلات (16))) (17)؛ وهو البيئة غير اللغوية التي تحيط بالكلام من ظروف وملابسات خارجية متغيرة توجد في لحظة قول النصّ أو كتابته (18)، وقد عرّفه معجم علم اللغة النظري بقوله: ((السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين؛ ويشمل زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحدثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة)) (19).

وهذه التعريفات وغيرها هي بمعنى واحد، وتركّز على المحيط غير اللغوي الذي يحيط بالنصّ ويؤثر فيه؛ وهذا المحيط يشمل: المتكلم، والمخاطب، والزمان، والمكان، والكلام السابق، ومن يشهد الكلام، والعادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات وغيرها من أمور وجدت في لحظة قول الكلام (النصّ) أو كتابته.

ب- مصطلحاته:-

لسياق الحال مصطلحات عدّة، منها ما هو قديم معروف في التراث العربي ومنها ما هو حديث مُترجم، قوبل بعدد من المصطلحات العربية، والتي منها: الحال، والأحوال المشاهدة، والمقام، والموقف، ومقتضى الحال،

والقرينة، وسياق الحال، وسياق الموقف، والظروف المصاحبة لأداء المقال، والتفسير التاريخي، والمسرح اللغوي، والسياق الاجتماعي، والسياق غير اللغوي، وغيرها (20).

ت- عناصره:-

أما العناصر الرئيسة والمؤثرة لسياق الحال فتقسم على (21):

- المتكلم
- المخاطب
- الكلام (النص)
- مُعْضَدَات الكلام
- الزمان والمكان

1- المتكلم:

المتكلم ذلك العنصر المؤثر في الكلام؛ التي تتعلق به وظيفة اللغة التعبيرية؛ لأنَّ الشروع في الكلام أو في كتابة نصٍّ ما إنما تكون من المتكلم؛ لذلك لا بدَّ أن يخضع الكلام أو النصّ لغرض المتكلم ومراده، فإذا أردنا فهم الكلام لابدَّ أن نعرف المتكلم، فهو يتشكّل من خصائص معينة تميّزه عن غيره وتظهر عليه في أسلوبه وحديثه. ولا يخفى أنَّ دلالة الكلمة والنصّ تختلف باختلاف المتكلم؛ لأنَّ كلّ متكلم تحيطه ظروف اجتماعية وثقافية خاصة تختلف عن غيره، فأحياناً للتوصل إلى المعنى الدقيق والحقيقي يتطلب معرفة عنصر المتكلم وما يتصل به وما يحيط به؛ من شخصيته، وجنسه ومكانته الاجتماعية والثقافية، وعقيدته، وانتمائه، وغير ذلك من الأمور الخاصة والعامة التي تتصل به، وتنعكس عليه (22).

2- المُخاطَب:

المخاطب هو الهدف في أيّ عملية اتّصال لغوي؛ إذ تتعلق به الوظيفة الخطابية والإفهامية، وهو بهذه المنزلة يتدخل بوجوده وصفته في بناء الكلام (النص)؛ إذ يوجب على المتكلم مراعاته؛ فيكيّف المتكلم كلامه وعباراته وفق حال المخاطب النفسي والاجتماعي والثقافي والفكري ودرجة الانتباه والجنس، وغير ذلك ممّا يجب مراعاته حين الشروع في الكلام أو بناء نصٍّ؛ وبذلك يكون الكلام مطابقاً لحال المخاطب الذي تتمُّ به العملية اللغوية التواصلية؛ والذي أكّد عليه البلاغيون في التراث العربي (23).

3- الكلام (النص):

يُصنّف الكلام (النص) إلى مستويات تبعاً للمستوى الثقافي والاجتماعي للمتكلم والمخاطب أو لمضمون النص (مجال الحديث)؛ فهو يدخل في علاقة مع بقية عناصر سياق الحال، فيتأثر بها؛ لذلك يأتي المقال بصور تناسب المقام؛ لذا يُراعى في بنائه هذه المستويات، والمجالات التي يُلقي فيها؛ إذ هو وسيلة للتواصل والتفاهم (24).

ويُراعى في الكلام (النص) أيضاً أثره على المشتركين في العملية اللغوية من إقناع، أو إغراء، أو ألم، أو ضحك، أو حزن، وما إلى ذلك من الأمور التي أنشئ الكلام من أجلها وتؤثر في السامعين والمشاركين (25)، ومن الأمور التي تؤخذ بنظر الاعتبار في الكلام أيضاً بل وتُعدّ من عناصر الحال الكلام السابق الباعث على إنشائه والمسبّب له والمؤثر في شكله ومضمونه (26).

4- مُعْضَدَات الكلام:

هي الحركات الجسمية والإيماءات التي تُصاحب الكلام من قبل طرفي الاتصال (المتكلم والمخاطب). ثمة تفاعل متبادل بين هذه الحركات الجسمية والإشارات- بصفتها علامة- وبين مدلولها، بحيث يستدعي كلّ منهما الآخر، وبينها وبين سياق الحال ارتباط، بحيث يستدعي سياق الحال حركة جسمية معينة في موقف معين؛ لتعطي دلالة معينة تناسب مقتضى الحال؛ فسياق الحال هو الذي يشكّل وينتج هذه الحركات، كما يجعل المتكلم ينتج كلمات وعبارات تناسب مقتضى الحال.

وكما تختلف العبارات والجمل باختلاف المتكلم، فإنّ الحركات الجسمية المصاحبة للكلام تتأثر باختلاف المتكلمين وجنسهم، ووضعهم الاجتماعي والثقافي.

وتعدّ هذه الحركات والإشارات الجسمية لغة غير صوتية وبرغم بمحدوديتها إلّا أنّ حركة اليدين والعينين، هما من أهمّ المُعْضَدَات المصاحبة للكلام؛ يستخدمها المتكلم عادة؛ لزيادة توضيح النص، وللتأكيد أحياناً، وتختلف هذه الحركات والإشارات من مجتمع لآخر (27).

5- الزمان والمكان:

وهما قيمتان خارجيتان تكونان معاً أو أحدهما قيداً على الحدث في الكلام (النص)، فالزمان يظهر في النصّ بأحد طريقين من طرق التعبير اللغوي، أحدهما: بوساطة صيغ الأفعال الدالة على الزمن، والآخر: بوساطة أسماء الأيام والشهور، والتاريخ العددي (الرقمي) الدال على الأحداث والوقائع الكبرى المعروفة في التاريخ (28). وأمّا المكان (مكان النصّ) فهو عنصر فعّال ومؤثّر في دلالة الألفاظ، والنصوص والكشف عنها، وهذا العنصر يظهر في النصّ بطريقتين أيضاً من طرق التعبير اللغوي: أحدهما بوساطة ظروف المكان المعروفة والجهات الأربع وغيرها، والآخر بوساطة أسماء المواضع الجغرافية كمكة والمدينة وبغداد وغيرها (29). والارتباط بين النصّ والمكان مسلّمة لغويّة؛ بحيث يحيل أحدهما على الآخر، فمثلاً عند استعمال لفظ (المدينة) حين يرد على لسان الحاجّ أو المعتمر فإنّه لا يراد منها إلا مدينة الرسول (ﷺ) وحين يرد على لسان أحد ساكني القرى؛ المحيطة بالمدينة، انصرفت دلالتها إلى تلك المدينة، فكثيراً من الضمائر والتعابير المبهمة؛ التي قد ترد في النصوص يفسرها عنصرا الزمان والمكان أو أحدهما حين يعجز السياق اللغوي عن تفسيرها، أو بيان مرادها (30).

د- أثر سياق الحال في تفسير المعنى

إنّ معنى أيّ نصّ من النصوص- الذي لم يحدده السياق اللغويّ- يتحدّد بوساطة سياق الحال الذي نشأ فيه، فكلمة وثقت الصلة بينه وبين النصّ أمكننا أن نفهمه بشكل أوضح؛ إذ لسياق الحال أو الموقف أثر بارز في تحديد معنى النصّ وفهمه؛ فإننا لا يمكن استخلاص المعنى من النصّ نفسه بالاعتماد على الأصوات الموجودة في حروفه، والجمل، والتراكيب ودلالاتها فحسب (31)؛ وذلك ((لأنّ المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كلّ شيء في إدراك معنى الكلام؛ فثمة عناصر غير لغويّة ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام)) (32)؛ لذا لا بدّ من النظر إلى المتكلم، والمخاطب، والزمان، والمكان، وما يرافق الكلام من إشارات جسمية وإيماءات وما يحيط به من ملابسات وظروف ذات صلة، وغير ذلك، وكل ذلك يمنح النصّ معنىً ويوضّحه؛ فسياق الموقف يكشف المعنى، ويزيل عنه الإبهام والغموض (33)؛ لأنّ ((محتوي النصّ- أيّ نصّ- يحمل في داخله إشارات لغويّة لخارج النصّ، سواءً أكانت هذه الإشارات تقع ضمن الكلمات المعجميّة أم التركيبية)) (34).

إنّ مراعاة عناصر سياق الحال المختلفة تمثّل الاتجاه الصحيح والضروري في كشف معنى النصّ وتفسيره، وتطبيق هذا المنهج، أي: مراعاة المقام ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحيّ (الحاضر)، كما ينبغي أن يصدق على النصوص ذات المقام الميت (الغائب) والذي يمكن أن يعاد بناؤه من جديد بالاستعانة بالوصف التاريخي كما ذكرنا آنفاً، ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي، والنصوص الإبداعية. إنّ الاختصار على المعنى الحرفي أو المعجمي أو المقالي، أو مقتضى الظاهر والاكتفاء به يعدّ سبباً دائماً في قصور الفهم؛ لأنّ الظواهر اللغويّة خاضعة لهيمنة ضغوط مقامية واعتبارات غير لغويّة (35)؛ ولذلك عدّت كلّ دراسة للغة دون الرجوع لسياق الحال أو الاجتماعي جهداً لا يستحقّ العناء (36)؛ فسياق الحال هو الروح الذي يجعل الحياة تدبّ في النصّ، والمعنى في التركيب (37)، بل يمكن القول إن سياق الحال يقوم بجميع وظائف السياق اللغوي، بل يزيد عليها في تحديد الدلالة؛ لأنّ الثنائي يعجز وحده عن الوصول إلى المعنى الاجتماعي؛ وهو المعنى الحقيقيّ المستعمل للحدث الكلامي؛ لأنّ السياق اللغويّ قد يظهر معنيّ، بينما يدل سياق الحال على خلافه أو ضده، فالنصّ الذي يُتجاهل فيه سياق الحال لا يمكن الوصول إلى معناه الحقيقيّ (38).

والتوقعات هي نصوص لغويّة شأنها شأن النصوص الأخرى، لا يمكن فهمها بعيداً عن سياق الحال الذي نشأت فيه؛ فهو المفسّر لها، والشاهد عليها، والموضّح لغامضها، فنجد كثيراً من التوقعات يستعصي علينا فهمها بشكل دقيق؛ بسبب عدم الترابط الظاهريّ بينها وبين الرسائل والطلبات بعيداً عن معرفة شخوصها، ومناسباتها، وقصصها، والكلام السابق لها، وظروفها الزمانية والمكانية، وما إلى ذلك من أمور خارج النصّ، وكلّ ذلك يُعين على فهمها ويُساعد على ذلك.

مفهوم التوقيعات:

تعريفها لغةً واصطلاحاً

التَّوْقِيعَاتُ في اللغة جمع توقيع، وقد ورد التوقيع في المعجمات العربية بمعان عديدة ومختلفة، منها: الرميُّ القريب، وأثر الرَّحْلِ على ظهر وأطراف البعير والدواب من الركوب، وإصابة الأرض من مطر متفرّق، وإقبال الصَّبْق على السيف يحدّده، والظنُّ والتوهم، ورفع اليد في السير إلى فوق، وغيرها (39).

ومن هذه المعاني المعجميّة التي تقترب من تعريفها الاصطلاحي هي (الإصابة، والأثر)، فالتوقيعات هي الأثر المكتوب على الرسائل والطلبات من قِبَل الرؤساء والحُكّام وأصحاب الأمر.

وأما تعريفها اصطلاحاً فقد عرّف ابنُ السيّد البطليوسي (521هـ) التوقيع، بقوله: ((أن يُستعمل في كلّ كتاب يكتبه الملك، أو من له أمر ونهي، في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في عرضه، بإيجاب ما يُسأل أو منعه)) (40)، وعرّفه القلقشندي (821هـ) بقوله: ((هو الكتابة على الرّقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة، والتحدّث في المظالم، وهو أمر جليل، ومنصب حفيظ (41))) (42)، وزاد القلقشندي ووضّح أن التوقيع في اصطلاح الأقدمين من الكُتّاب: ((اسم لما يكتب في حواشي القصص كخطّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدّم، وخط كاتب السرّ الآن؛ ثم غلب حتّى صار علماً على نوع خاصّ ممّا يُكتب في الولايات وغيرها)) (43).

أمّا المعاصرون فإنّهم يكادون يُجمعون على أنّ التوقيع هو تعليق موجز يُكتب في أسفل الرسائل الواردة لديوان الملوك والرؤساء أو على ظهرها ويتضمن ردّاً مناسباً، كلّ بحسب طلبه (44)، ومن هذه التعريفات، تعريف الدكتور عمر فروخ بأنّه: ((ما كان الخلفاء يُثبّثونه من الجمل القصار في أعقاب الرسائل التي ترد إليهم من الولاة وسائر الناس ليجيزوا ما في هذه الرسائل أو ليلطلوها)) (45)، وعرّفه الدكتور محمد نبية حجاب بقوله: ((التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها)) (46)، وعرّفه الدكتور محمد أحمد الدرويّ بأنّه: ((ما يكتبه الرؤساء - على اختلاف مراتبهم - تعليقاً على الرسائل المرفوعة إليهم، كأن تُكتب عبارة موجزة إنشاءً أو اقتباساً، في حاشية الرسالة... فتكون هذه العبارة جواباً يُعمل بمقتضاها)) (47).

فالتوقيع -المقصود في دراستنا- هو النصّ الأدبيّ المكتوب على الرسائل من قبل الملوك والرؤساء ومن له أمر ونهي، بإيجاب ما يُسأل عنه أو منعه أو رفع المظالم، أو التوجيه والنصائح، وغيرها.

- أثر معرفة طرفي الكلام في فهم التوقيعات.

1- ((جنّبي دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب)) (48)

في الدولة الأمويّة كُثرت التوقيعات وشاعت وانتشرت أكثر من عصر الخلافة الراشدة؛ فزاول الخلفاء التوقيعات بأنفسهم، وزادت العناية بها والحاجة لها؛ لتنوع شؤون الدولة، وتوسع الولايات الإسلامية والأمصار (49)، فجاء هذا التوقيع من تلك الحقبة الزمنية؛ وهو توقيع للخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (ت 86هـ)، في كتاب الحجّاج يشكو إليه نفرًا من بني هاشم ويحرّضه على قتلهم (50).

وحينما نفّش ونقّش في سيرة الخليفة عبد الملك بن مروان وترجمته؛ لنصل إلى معرفة هذه الشخصية؛ ولفهم كلامها، وتوقيعها والبلوغ إلى المعنى الحقيقي في هذا النصّ، نجد أنّه كان يتّصف بمبدأ، وله نهج في حياته؛ يتعامل به مع الناس؛ هذا المنهج هو الذي صبغ حياته، وسلوكه وصار جزءاً منه، فأثر في مضمون توقيعها؛ وهو سياق الحال والمقام الذي فقد من التوقيع، فكشفت لنا كتب التاريخ والسّير والتراجم، فالتقى المقام بالمقال، وبان النصّ وفهم، فقد روي عن عبد الله بن بكر السهمي، عن أبيه قال: ((سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة، فقال لأصحابه: إذا شئتم. فلما تهيأ الرجل للكلام قال له: إياك أن تمدحني، فإني أعلم بنفسني منك، أو تكذبني، فإنّه لا رأي لكذوب، أو تسعى إليّ بأحد. وإن شئت أقلّك، قال: أقلّني. فأقاله، وفي رواية أخرى: كان عبد الملك بن مروان إذا دخل عليه رجلٌ من أفيق من الآفاق قال: أعفني من أربع وقل بعدها ما شئت - وقال فيه: ولا تحملني على الرعيّة؛ فإني إلى الرفق بهم والرأفة أحو - وفي رواية: لا تخفني - يعني تغضبني حتى يحملني الغضب على خفة الطيش)) (51)، فضلاً عن ذلك أنّه كان يُعدّ من فقهاء المدينة الأربعة، مع سعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب (52)، وقد تكون لعبد الملك بن مروان عينٌ بصيرة تقيه من الطيش والتهوّر خشية العاقبة، فيضيق ملكه كما ضاع ملك غيره، فقد ورد أنّ عبد الملك بن مروان أرسل برسالة للحجّاج يحذّره من قتلهم: ((أما بعد يا حجّاج فجنّبي دماء بني عبد المطلب فإني رأيت آل حرب (53) لما قتلوهم لم يناظروا (54))) (55).

ولكن عند التدقيق في توقيعات عبد الملك بن مروان الأخرى، نجد أنّ منهجه وسلوكه متساوٍ في التعامل مع الناس، ممّا يعضّد ويقوّي قولنا، ومن هذه التوقيعات: توقيع في كتاب آخر للحجّاج يشكو إليه أهل العراق

وما يقاسي منهم، ويستأذنه في قتل أشرافهم: ((أزفُّقُ بهم فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَعَ الرَّفْقِ مَا تَكْرَهُ مَعَ الْخُرْقِ مَا تَحِبُّ)) (56)، ووقع إلى الحجاج أيضًا: ((أبقي لهم لُحُومًا يعقدوا بها شُحُومًا)) (57)، ووقع له أيضًا: ((إِنَّ مِنْ يُمْنِ السَّائِسِ أَنْ يَأْتَلَفَ بِهِ الْمُخْتَلِفُونَ، وَمِنْ شَوْمِهِ أَنْ يَخْتَلَفَ بِهِ الْمُؤْتَلِفُونَ)) (58)، ووقع في كتاب متنصِّح: ((إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَثْبَنَّاكَ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ)) (59).

إنَّ الفقه والمبدأ النبيل حينما يجتمعان في إنسان يصنعان منه شخصًا متزنًا، لا يعرف الطيش، والتهور، وهما اللذان جعلتا عبد الملك بن مروان لا يسمع للسُّعاة، ويكتب نصوص هذه التوقيعات. إنَّ الاطلاع على شخصية كاتب التوقيع ومعرفة صفاته، وسيرته أفادت في فهم هذا التوقيع (النص)، والدوافع التي جعلته يكتب بهذه الصورة.

2- ((خُذْ عَسْكَرَكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ أَمْنٌ مِنْ حَصُونِكَ)) (60)

هذا التوقيع من توقيعات الحجاج بن يوسف الثقفي (61) (ت 95هـ)، على أحد كتب قتيبة بن مسلم الباهلي (62) يوصيه بجيشه (63).

التوقيع يحمل وصية من والٍ إلى قائد جيش يوصيه بجيشه خيرًا، ويدلّه على حصونه المنيع؛ وهو من الوضوح بمكان، ولكنَّ الالفت للنظر هو خروج هذه الوصية من والٍ وهو الحجاج؛ الذي عُرف واشتهر بالظلم، وانتهاك المحرمات، وسفك الدماء حتى كان يقال له (المُيِّر)؛ لأنّه أبار الناس؛ أي: أفناهم بالقتل (64)، فكيف يصدر منه هذا التوجيه، والحث على تلاوة القرآن!، وهنا يكمن دور السياق الاجتماعي في معرفة شخصية المتكلم؛ لفهم توقيعه على حقيقته؛ ليتطابق المقام مع المقال، وتجتمع العناصر اللغوية مع غير اللغوية في تفسير المعنى.

فحين نقرأ ونفتش في كتب التاريخ والسير والتراجم عن سيرة هذا الرجل الظلوم المُيِّر نجد عجبًا فقد وُصف بأوصاف عجيبة متناقضة مع سيرته البشعة المعروفة عنه مع الناس ولا سيّما علاقته مع القرآن الكريم، ومنها: مدارسته للقرآن، فقال ابنُ عوفٍ: ((كنتُ إذا سمعتُ الحجاجَ يقرأُ عرفتُ أَنَّهُ طالما دَرَسَ الْقُرْآنَ)) (65)، والاكثار من تلاوته، فقد قيل عنه: ((كان الحجاجُ أولَ أيامه معلمًا، وكان يقرأُ في كل ليلة ربيع القرآن)) (66)، بل ويختمه في كل ليلة كما نقل أبو محمد الحناني: ((عملناه - يعني تجزئة القرآن في أربعة أشهر - وكان الحجاجُ يقرأه في كل ليلة)) (67)، وكان حسنَ الحُفْظِ له، فقد وُصف: ((كان الحجاجُ أخفش، دقيقَ الصوتِ فصيحًا حسنَ الحُفْظِ للقرآن، إلّا أَنَّهُ قد أخذ عليه فيه لحنًا)) (68)، ووُصف أيضًا بحبِّ القرآن وإكرام أهله، فقد روي أَنَّ عمرَ بن عبد العزيز، قال: ((ما حسدتُ الحجاجَ -عدوّ الله- على شيءٍ حَسَدِي إِيَّاهُ على حُبِّهِ الْقُرْآنَ وإِعْظَائِهِ أَهْلَهُ، وَقَوْلِهِ حِينَ اخْتَضَرَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ)) (69)، ووُصف أيضًا بتعظيمه للقرآن مع صفاته المذمومة: ((كان ظلوّمًا، جبّارًا، ناصبيًا، خبيثًا، سفاكًا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن)) (70)، وذكر ابن كثير سيرته بإيجاز، فقال: ((كان يتدبّر بترك المُسْكِر، وكان يُكثِرُ تلاوة القرآن، ويتجنّب المحارم، ولم يُشتهر عنه شيءٌ من التلَطُّخ بالفُزُوج، وإنَّ كان... أعظم ما نُقم عليه وصحّ من أفعاله سفكُ الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل، وقد كان حريصًا على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيرًا، ولمّا مات لم يترك فيما قيل إلّا ثلاثمائة درهم. والله أعلم)) (71).

وبعد كلّ هذا الوصف لشخصية الحجاج، غير المعلنة، ومعرفة خفاياها وعلاقتها مع القرآن درسًا، وتلاوة، وحفظًا، وحبًا، وتعظيمًا، وإعطاءً لأهل القرآن وسياق حاله الاجتماعي، أفلا يتأثر أسلوب الحجاج في توقيعه وكتابته بالحث على تلاوة القرآن وتشجيعه الجُنْد عليها، واعتمادها حصونًا في الحماية من الأعداء؟.

3- ((مَنْ عَزَفَتْ فَهَوَّ آمِنٌ)) (72)

من توقيعات الدولة الأموية توقيع ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت 64هـ) وقعه في كتاب عبد الله بن جعفر يستوهمه جماعة من أهل المدينة (73).

من الأحداث الكبيرة التي حدثت في فترة حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مع أهل المدينة واقعة الحرّة المشهورة عام (ت 63هـ)؛ إذ ثار أهل المدينة على حكم يزيد وأعلنوا عصيانهم فحدثت هذه الواقعة، وتفصيلها وأحداثها معروفة في كتب التاريخ لا مجال لذكرها هنا (74).

وهذا التوقيع جاء إكرامًا لعبد الله بن جعفر بالعفو عن بعض أهل المدينة والأمان لهم بعد هذه الواقعة، فمن يكون جعفر بن عبد الله حتى يُعطى له هذا الأمان والعفو بعد هذه الحدث الجلل؟.

وهنا يتصدّر السياق الاجتماعي أو الظروف المحيطة بالنص في تفسير المعنى، وتوضحه؛ إذ هو البيئة التي وُلد فيها النص (التوقيع)، ولا سيّما عنصره الفعّال هنا وهو المخاطب أو المتلقّي؛ لأنّ المتكلم لا بدّ -كما قلنا سابقًا-

أن يراعي المتلقي في إنشاء كلامه؛ فينظمه على وفق مستواه العلمي، والثقافي والمنزلة الاجتماعية وما إلى ذلك (75).

المتلقي هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أول مولود وُلد في الإسلام بأرض الحبشة، وقَدِم مع أبيه المدينة، وحفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وروى عنه، وتوفي بالمدينة سنة (80هـ)، وهو ابن تسعين سنة، وكان كريماً، جواداً، ظريفاً، خليفاً، عفيفاً، سخيّاً يسمّى بحر الجود، ويقال: إنّه لم يكن في الإسلام أسخى منه، ويقولون: إنّ أجواد العرب في الإسلام عشرة، وليس في هؤلاء كلّهم أجود من عبد الله بن جعفر، ولم يكن مسلماً يبلغ مبلغه في الجود، وعُوتِب في ذلك فقال: إنّ الله عودني عادةً، وعودت الناس عادةً، فأنّا أخاف إن قطعناها قطعَتْ عني، وأخبره في الجود عجيبةٌ وكثيرةٌ جداً (76).

وله منزلةٌ بين الناس وشأنٌ فيروى أنّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان يكرمه وينزله داره، ويظهر له من بَرِّه وإكرامه ما يستحقه حين يقدم عليه، وكذا يفعل معه ابنه يزيد، ويقال إنّ عبد الله بن جعفر وفد عليه مرّة فأكرمه كرمًا عجيبةً حتى قيل له: يا أمير المؤمنين فرقت مال المسلمين على رجل واحد. قال: إنّما فرقته على أهل المدينة أجمعين. فلما دخل عبد الله المدينة فرّق فيها تلك الأموال على مستحقيها حتى احتاج بعد شهر إلى القرض (77)، وهناك توقيع آخر ليزيد وقعه على كتاب عبد الله بن جعفر يعضد ويؤيد مكانته عنده حينما سأله فيه أن يقضي ذمّام (78) نفر من بطانته وخاصته، فوقّع: ((أَحْكُمُ لَهُمْ بِأَمَالِهِمْ إِلَى انْقِصَاءِ أَجَالِهِمْ)) (79). هذا هو عبد الله بن جعفر الطيّار؛ بحر الجود، والكرم، فمن كانت هذه صفته ومنزلته بين الناس، أفلا يُعْفَى عن الناس، ويأمنون، ويكرّمون إكرامًا له ولجوده، وعفته، وسخائه، وخلقه؟.

إذن معرفة المخاطب تساهم مساهمة بارزة في كشف النصوص وتفسيرها وتجلية المعنى الحقيقي، والدوافع التي أنشئ النص من وراءها.

4- ((قاق قاق قاق)) (80)

من توقيعات الدولة العباسية توقيع لأبي القاسم العلاء بن الحسن (ت387هـ) وزير صمصام الدولة البويهية (ت388هـ) في رقعة عرضها عليه ابن ثعلبة أحد كتّاب الديلم بالأهواز (81).

توقيع غريب ومبهم كغرابة أصوات الطيور؛ إذ لا يفهم منها إلّا حروف أصواتها العربية؛ (قاق) بالفتح صوت، يقال قاقَت الدجاجة فوقاً، أي صوتت، والقاق: الأحمق الطائش (82).

هذا التوقيع ذكرت روايته أنّ الوزير وقعه في رقعة الكاتب ابن ثعلبة، وبينت المبرّر منه؛ وهو السياق الاجتماعي لهذا الكاتب، وطبيعته الشخصية؛ وهو المخاطب، فذكرت أنّ ابن ثعلبة كان يُكثر على الوزير في طلب المحال، وما لا يجوز، ولا يسوّغ (83)، ولكن ما الربط بين مضمون هذه الرقعة ومقصد الوزير في هذا التوقيع؟.

حينما نتأمل في هذا التوقيع كأننا بالوزير يشير ويعرّض إلى الكاتب، أي: أنّك يا ابن ثعلبة في طلباتك المحالة كالدجاجة تصوت (قاق قاق قاق) ولا تفهم معنى صوتها، كذلك أنت تطلب ولا تفهم مقدار طلباتك وقيمتها، فكأنّ عقلك اختلط عليه، ولا تعرف المعقول من غيره؛ فطلباتك من مُحال إلى ما لا يجوز، ولا يسوّغ، وربّما أشار الوزير في توقيعه إلى أن طلباتك مبهمة كهذه الأصوات، وقد يريد الوزير الاسم دون الفعل من (قاق) وهو القاق، أي: إنك أحمق أحمق بتكرارها، وهذا ما نرجحه، وكلّ ذلك هو توبيخ واستهزاء بالطلب والطلب؛ لغرابتها، ومُحالها، وما لا يجوز، وما لا يسوّغ.

وهنا ساهم سياق الحال مرّة أخرى في فهم التوقيع وتفسيره بصورة جليّة وواضحة؛ بمعرفة عنصره الفعّال وهو المخاطب حينما ذكر صفاته، وأُنازل للقارئ كلّ غموض ولبس في فهم التوقيع، ومعرفة الرابط بين التوقيع وبين مضمون الرقعة.

– أثر معرفة الحدث في فهم التوقيعات.

1- ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (84)(85)

توقيع وقّع به الخليفة الثالث عثمان بن عفان في قصة قوم من أهل مصر تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجّه (ضرب) (86) أعناقهم (87).

لا نستطيع فهم الربط بين التوقيع وبين هذه الشكوى إلّا بمعرفة سياق القصة وحدثها التي جعلت الخليفة عثمان رضي الله عنه يبرأ من فعلهم، وهو أهل العدل والشفقة والعفو والإحسان.

وهنا لا بدّ من الرجوع إلى معرفة قصة المتظلمين (سياق الموقف) من هم؟ وما مشكلتهم؟، ومن هو مروان بن الحكم؟؛ حتى نستطيع فهم التوقيع ولماذا وقّع الخليفة بهذه الآية الكريمة التي تدل على البراءة من العصاة؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بد أن نقلب صفحات من تأريخ الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه ورسائله؛ حتى يتسنى لنا فهم التوقيع وملابساته.

في فتنه مقتل عثمان رضي الله عنه تكالب أهل الأمصار بالخروج عليه، فتواعدوا جميعاً بالخروج عليه في شوال سنة (35هـ) مظهرين الحجّ؛ فخرجت الجموع من البصرة والكوفة ومصر ونزلوا في ضواحي المدينة، فعلم بأمرهم عثمان رضي الله عنه، فأرسل إليهم علياً رضي الله عنه فكلمهم بالرجوع إلى أمصارهم وضمن لهم حقوقهم وما خرجوا من أجله، فانصرفوا مظهرين الرجوع إلى بلادهم، ثم كُروا بالرجوع إلى المدينة دون علم الخليفة فتفاجأ أهل المدينة بأصوات تكبيرهم تملأ ضواحي المدينة، وأحاطوا بعثمان رضي الله عنه، فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم عليّ فقال: ماردكم بعد ذهابكم؟ قال المصريون: وجدنا كتاباً مع بريد عند ورش غلام عثمان على بعير عثمان مقبل من المدينة إلى عبد الله بن أبي السرح عامل مصر يأمر بقتلنا، فأقسم عثمان وتبرأ من هذا الكتاب، أنه ما كتبه، ولا أمر، ولا علم به، فقال عليّ ومن معه من كبار الصحابة: صدق عثمان، وقال محمد بن مسلمة، والله إنّه لصادق، ولكن هذا عمل مروان، قالوا: يكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام، وأنت لا تدري؟ قال نعم (88). ونص الكتاب في إحدى روايات الطبري: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أما بعد: فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمرى، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك وعروة بن التباع اللبثي مثل ذلك)) (89). وفي رواية العقد الفريد: ((إذا جاءك محمد {بن أبي بكر} وفلان وفلان، فاحتل لقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، وأحتبس من جاء يتظلم منك، ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء الله)) (90).

وبعد هذه الجولة التاريخية في فترة فتنه مقتل عثمان رضي الله عنه وملابساتها اتّضحت لنا القصة وسياق الحدث فيها، ومن هم المشتكون؟ ومن المشتكى عليه؟، والسبب الذي جعل الخليفة الراشد يوقع به ((إِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (91). فمعرفة سياق القصة (الحدث) قد ساعدنا في فهم مراد الخليفة رضي الله عنه في توقيعه.

2- ((لو أنّ خفّة رأسه في رجله لَحَقَّ الغزالَ ولم يفتّه الأرنُبُ)) (92)

البيت الشعريّ توقيع للخليفة العباسيّ المستنجد بالله (ت566هـ) على ظهر قصة للشاعر الخيصر بنيص (ت574هـ) بعد مدحه الخليفة بقصيدة، وقيل إنّ الخليفة كتب على مطالعته (لو)، فخرجت المطالعة فلم يفهم أحدٌ معنى (لو)، فتفطّن وزيّره في ذلك فقال: أراد أمير المؤمنين: لو أنّ خفّة رأسه في كعبه ... لحق الغزالَ ولم يفتّه الأرنُبُ (93).

حين ننظر في ملابسات هذا التوقيع، وجزاء الخليفة العباسيّ للشاعر بعد مدحه بقصيدة نجد أنّ غبناً قد حصل للشاعر؛ هلّ جزاء الإحسان إلّا الإحسان (94)، لكن عند التدقيق أكثر في قصة التوقيع، والأمر المصاحبة له نرى أنّ الخليفة بريء من ظلم الشاعر بل أنّ الشاعر قد تجاوز حده، إذ يروى أنّ الشاعر اقترح أن تجعل بعقوباً (95) معيشة له؛ وهي بلدة أو قرية عظيمة، قرب بغداد، كانت اقطاع الخلفاء في أيام السلجوقية، وتنتج في كل سنة اثني عشر ألف دينار (96). وبذلك يكون معرفة الحدث عامل بارز في فهم التوقيع وتفسيره.

– أثر معرفة الزمان والمكان والعادات والأعراف والمعتقدات في فهم التوقيعات

1- ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من هارون أمير المؤمنين إلى نفقور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكفرة، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه، والسلام)) (97).

توقيع وقع به الخليفة العباسيّ هارون الرشيد (ت193هـ) على ظهر كتاب إلى ملك الروم كما هو موضّح في التوقيع.

هذا النصّ (التوقيع) حين تقرأه تجد فيه قوةً تهزّ القلب؛ لما يتضمنه من ثقة بالنفس واحتقار وتهديد واضح، لملك الروم؛ تدلّ على قوّة هارون الرشيد، وضعف ملك الروم، وهذا الخطاب لا يمكن أن يصدر من رجل ضعيف ودولة ضعيفة، ويمكن أن نشبّهه بخطاب رئيس دولة قوية كالولايات المتحدة حالياً التي تملك قوة هائلة وعِدّة وعتاد وهيمنة على العالم.

هذا النصّ (التوقيع) لا يوضّحه ولا يثبت ما نقول إلّا سياق الحال المتمثل بعرفة عنصر الزمان؛ أي زمان هارون الرشيد ودولته.

فحين نقرأ التاريخ ونرجع إلى الوراء؛ إلى ذلك العصر الذهبي؛ عندما كانت الأمة موحدة وقوية وشامخة وعزيزة؛ إلى القرون الأولى من انتشار الإسلام في ربوع الأرض؛ إلى زمن الخليفة هارون الرشيد تحديداً؛ نفهم سرّ هذه اللهجة العنيفة والشامخة والقوة في الخطاب مع الخصوم والأعداء.

وهنا لا بدّ من نبذة قصيرة وسريعة عن سيرة الخليفة هارون الرشيد وزمنه؛ فسيرته سيرة عريضة، وله أعمال

وإنجازات كثيرة لا يمكن أن نوفيها حقها في هذه العجالة القصيرة. ففي زمن هارون الرشيد اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها؛ بل إنَّ عهده أعظم عهدٍ في تاريخ الدول الإسلامية على الإطلاق من ناحية الازدهار الاقتصادي، والتقدم العلمي المبهر، والتطور الحضاري العظيم، وكانت الأموال تحمل من جميع الأقاليم - بعد تكفية الجيوش - إلى بيت المال على بعد المسافة، وكان يستلقي وينظر إلى السحابة، فيقول: اذهبي إلى حيثُ شئتُ؛ خراجك يأتيني بأذن الله، ومن أعمال الرشيد العناية بتقوية الجيش العباسي حتى صار من أقوى جيوش العالم في ذلك الوقت، وله حروب ضد الروم، وأصبحت تقوم كل عام تقريباً؛ واضطرت دولة الروم أمام ضربات الرشيد المتلاحقة إلى طلب الهدنة والمصالحة، فعقدت إيريبي ملكة الروم صلحاً مع الرشيد، مقابل دفع الجزية السنوية له في سنة (181 هـ)، وظلت المعاهدة سارية حتى نقضها إمبراطور الروم نقفور الأول، الذي خلف إيريبي في سنة (186 هـ)، الذي جاء التوقيع ردّاً على نقضه تلك المعاهدة(5).

هذا العجالة السريعة في سيرة الخليفة هارون الرشيد ومعرفة زمنه أفادتنا في فهم هذه اللهجة الحادة الذي يتسم بها هذا التوقيع.

2- ((لا تطلب طاعة من خذل علياً، وكان إماماً مرضياً))(98).

توقيع وقع به الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان (ت101هـ)، لما أتاه كتاب عدي بن أرطاة الفزاري -والي الكوفة- يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة(99).

هذه التوقيع (النص) يصف مكاناً بعينه (الكوفة) بصفة يُفهم منه أنَّها ملازمة له، وثابتة، قد تكررت منهم هذه الصفة ألا وهي عصيان الطاعة لولاة الأمر؛ رغم صلاح ولاتهم ومنهم علي بن أبي طالب رضي عنه؛ (وكان إماماً مرضياً)؛ تشهد له الدنيا وأهلها.

ولإثبات تلك الصفة التي لازمتهم لابد أن نقلب صفحات التاريخ، ومعرفة سيرة وتاريخ وطباع أهل الكوفة على مرّ الزمن ولا سيما طباعهم مع ولاتهم؛ أي سياق الحال؛ الذي يتضح بمعرفة عنصر المكان.

إنَّ شغب أهل العراق-البصرة والكوفة حينذاك- معروف مع الولاة، فعن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي وقاص إلى عُمر رضي الله عنهما، قالوا: إنَّه لا يحسن الصلاة فقال سَعْد: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عُمر: ذاك الظن بك يا أبا اسحق(100)؛ هذه واحدة، وقضية تولية عبد الملك بن مروان الحجاج على الكوفة من أسبابها شغب وطمع أهل العراق في الولاة، وقصة الحجاج مع أهل الكوفة، وكيف استقبلوه، وماذا فعل بهم في المسجد في أول لقاء له معهم معروفة في التاريخ أيضاً(101)، لذلك جاء التوقيع: ((لا تطلب طاعة من خذل علياً))(102)، فهو سياق معروف عن هذا المكان؛ يعرفه الجميع (الخليفة والوالي والناس)، وبذلك ساهم معرفة المكان في فهم هذا التوقيع والنص الأدبي.

3- ((بقية السيف أنمى عدداً))(103)

للخلافة الراشدة توقيعات حفظها التاريخ رغم قتلها، لكنها تحمل دلالات إيمانية واضحة ووصايا وإرشادات(104)، ومن هذه التوقيعات توقيع للخليفة الراشد علي بن أبي طالب (ت40هـ) وقعه في كتاب الحصين بن المنذر يذكر أنَّ السيف قد أكثر في ربيعة(105).

التوقيع واضح الألفاظ والمفردات إلا أنَّ هذه المعرفة للألفاظ التي يتكون منها التوقيع -وهو ما يدعوه السياقيون بفهم سياقه اللغوي- لا تُعطي المعنى حقّه، فالتوقيع على الرغم من معرفة مفرداته ما زال غامضاً، وغموضه يكمن في الصلة بين الإكثار من القتل وأنمى عدداً؛ إذ المعروف عن القتل هو تقليل العدد، وإهلاك النوع البشري، فكيف يكون القتل نماءً للعدد؟.

فمتلقي التوقيع لا يستطيع أن يفهمه من دون التعرّف على طبيعة الحياة الاجتماعية العربية وما فيها من عادات وتقاليد وأعراف؛ فهي خير ما توضح النص؛ لأنَّ هذا التوقيع هو صورة للحياة الاجتماعية العربية التي كانت موجودة، وبدون معرفتها يبقى غامضاً.

حينما نقرأ في تراثنا الزاخر؛ لمعرفة عادات، وتقاليد، وأعراف العرب، ومعتقداتهم؛ لفهم كلامهم ونصوصهم الأدبية نجد عندهم سياقاً ثقافياً معروفاً وهو أن القتل يزيد النسل، فقد قيل: ((أربعة يسرع إليها الخلف: الحرق والقتل والتزويج والحج))(106)، وقال المهلب: ((ليس أنمى من بقية السيف))(107)، فوجد ذلك عياناً في ولد علي بن أبي طالب وولد المهلب؛ وذلك أنه قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنه عامة أهل بيته فلم ينج منهم إلا علي ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأخرج الله من صلبه الكثير الطيب، وقتل المهالبة حتى استؤصلوا ثم أدرك منهم روح ويزيد ابنا حاتم ويقال إنَّه لو تفاخرت الجن والإنس لفخرها الإنس بابي

(1) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 307/8، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم: 549/3، و مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ: 389-394

حاتم روح ويزيد وأمثالها من المهالبة، وذكر أنه مكث آل المهلب بعد مقتل يزيد وأخيه نيفا وعشرين سنة لا يولد لهم أنثى ولا يموت لهم غلام (108)؛ فالعرب لديهم اعتقاد بل يقين أن القتل إذا كثر ينمي ويكثر النسل، ذكر المدائني أن زياد بن أبيه أخذ امرأة من الخوارج فقال: ((أما والله لأحصدكم حصداً ولأفنيكم عداء، قالت: كلا إن القتل ليزرعنا)) (109).

إذن معرفة عادات، وأعراف العرب، ومعتقداتهم؛ ضرورة في فهم النصوص الأدبية، وإزالة الغموض منها، ومعرفة المعنى الحقيقي للنص.

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن وفقني على إنجاز هذا البحث إلى أن وصل إلى هذه المرحلة التي تمخضت عنها مجموعة من النتائج، منها:

1. لا يمكننا أن نفهم التوقيع - بوصفه نصاً لغوياً مستقلاً - من دون معرفة عناصره غير اللغوية المكوّنة له، وتفاعلها فيما بينها.
2. النص الأدبي مرآة لشخصية متكلمه أو كاتبه.
3. أقصر طريق لفهم النص اللغوي والأدبي هو معرفة شخصية المتكلم أو الكاتب.
4. يساهم معرفة المخاطب في فهم كثير من النصوص وتفسيرها.
5. أن بعضاً من التوقيعات لا يمكن أن تفهم من دون معرفة موقفها أو القصة التي قيلت فيها، فسياق الموقف يقوم مقام الأجزاء المحذوفة منه.
6. عنصر الزمان والمكان عاملان مساعدان في فهم كثير من النصوص وتفسيرها.
7. أن عدداً من التوقيعات تحتاج إلى معرفة طبيعة الحياة الاجتماعية العربية أو السياق الثقافي التي أنتجت فيه؛ لأنه أفضل ما يفسرها، فالتوقيع انعكاس لتلك الصور الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر، ومن دون معرفة تلك العادات والأعراف والتقاليد والمعتقدات لا يمكننا أن نفهمها جيداً.

الهوامش

- (1) ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام (بحث): 7، وأثر السياق في فهم النص القرآني (رسالة ماجستير): 92.
- (2) ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام (بحث): 7، وأثر السياق في فهم النص القرآني (رسالة ماجستير): 92، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 1.
- (3) مقاييس اللغة، مادة (سوق): 117/3.
- (4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (سوق): 1499/4.
- (5) لسان العرب، مادة (سوق): 166/10.
- (6) لسان العرب، مادة (سوق): 167-166/10.
- (7) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (سوق): 483/25.
- (8) ينظر: المثل الموجز في اللغة العربية (بحث): 69.
- (9) مقاييس اللغة، مادة (جمع): 479/1.
- (10) لسان العرب، مادة (جمع): 53/8.
- (11) مقاييس اللغة، مادة (حول): 121/2.
- (12) ينظر: لسان العرب، مادة (حول): 190/11.
- (13) توظيف السياق في الدرس اللغوي (أطروحة دكتوراه): 34.
- (14) ينظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: 46.
- (15) ينظر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب: 189.
- (16) الخُرُجَات: الخرافات والأباطيل، (ينظر: جمهرة اللغة: 49/1، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (خزعبل): 1684/4).
- (17) اللغة العربية معناها ومبناها: 352.
- (18) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: 71، واللسانيات الاجتماعية عند العرب: 161-162، والسياق وتوجيه دلالة النص: 131، والمثل الموجز في اللغة العربية (بحث): 70.
- (19) معجم علم اللغة النظري، د. مجد علي الخولي، 1990: 259 نقلاً عن فصول في علم الدلالة: 127.
- (20) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: 28-30، وفصول في علم الدلالة: 125، والسياق وتوجيه دلالة النص: 131-132 و185، وتأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب: 294.

- (21) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 311، وفصول في علم الدلالة: 124 و139-148، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 567-598، و601-625.
- (22) ينظر: فصول في علم الدلالة: 139-141، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 601-605، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 11-13.
- (23) ينظر: فصول في علم الدلالة: 141-142، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 605-617، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 11-13.
- (24) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 337، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 311، فصول في علم الدلالة: 142-144، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 613-617.
- (25) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 311، فصول في علم الدلالة: 142-144، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 613-617.
- (26) ينظر: فصول في علم الدلالة: 127.
- (27) ينظر: فصول في علم الدلالة: 147-148، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 617-620.
- (28) ينظر: فصول في علم الدلالة: 143-145، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 620-625، والسياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية (رسالة): 76-77.
- (29) ينظر: فصول في علم الدلالة: 143-145، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 620-625، والسياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية (رسالة): 76-77.
- (30) ينظر: فصول في علم الدلالة: 143-145، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 620-625، والسياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية (رسالة): 76-77.
- (31) ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام (بحث): 7، وأثر السياق في فهم النص القرآني (رسالة ماجستير): 92.
- (32) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 1.
- (33) ينظر: طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام (بحث): 7، وأثر السياق في فهم النص القرآني (رسالة ماجستير): 92، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 1.
- (34) دلالة السياق، ردة الله الطلحي: 559.
- (35) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 372، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 1.
- (36) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، د. هديسون: 36.
- (37) ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب: 293-294.
- (38) ينظر: فصول في علم الدلالة: 181-182.
- (39) ينظر: العين، مادة (وقع): 176/2-178، ومقاييس اللغة، مادة (وقع): 134/6، ولسان العرب، مادة (وقع): 402/8-407.
- (40) الاقتضاب في أدب الكتاب: 195/1.
- (41) حفيظ: عظيم، فخم. (ينظر: لسان العرب، مادة (حفل): 158/11، وتكملة المعاجم العربية، مادة (حفل): 246/3).
- (42) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: 145/1.
- (43) المصدر نفسه: 114/11.
- (44) ينظر: التوقيعات الفارسية المعربة: 15، وأدب التوقيعات في العصر العباسي (رسالة): 5.
- (45) تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ: 254/1.
- (46) بلاغة الكتاب في العصر العباسي: 96.
- (47) الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث، دار الفكر-عمان، ط 1، 1999م: 68-69، نقلا عن أدب التوقيعات في العصر العباسي (رسالة): 6.
- (48) العقد الفريد: 289/4، وجمهرة رسائل العرب في عصور العربية: 493/2.
- (49) ينظر: التوقيعات الأدبية (مقالة): 3-4، والتوقيعات الأندلسية: 13-105، وأدب التوقيعات في العصر العباسي (رسالة): 9-17، وأدب التوقيعات (بحث): 33-37، وجمهرة توقيعات العرب: 31-52 و203-210.
- (50) ينظر: العقد الفريد: 289/4، وجمهرة رسائل العرب في عصور العربية: 493/2.
- (51) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 228-229، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: 411/18.
- (52) ينظر: المصدر نفسه: 221/15، والمصدر نفسه: 410/18.
- (53) يقصد آل معاوية بن أبي سفيان. (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 1416/3).
- (54) يناظروا: أي لم يمهلوا (ينظر: لسان العرب، مادة (نظر): 216/5).
- (55) طبقات ابن سعد، تحقيق: محمد بن صامل السلمي: 510/1.
- (56) خاص الخاص: 87.
- (57) المصدر نفسه: 87.
- (58) العقد الفريد: 289/4.
- (59) خاص الخاص: 87.
- (60) العقد الفريد: 301/4، وجمهرة توقيعات العرب: 208.
- (61) الحجاج: أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان. (ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 29-54، والوفاء بالوفيات: 236-242).
- (62) قتبية بن مسلم الباهلي: أحد الأبطال والشجعان، افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى، تولى خراسان للأمويين، وخرج على سليمان بن عبد الملك، قُتل سنة 96هـ. (ينظر: سير أعلام النبلاء: 410/4، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 501/1).

- (63) العقد الفريد: 301/4، وجمهرة توقيعات العرب: 208.
- (64) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: 755/1، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 29/2-41.
- (65) الكامل في التاريخ: 59/4.
- (66) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: 336/6.
- (67) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 201/6.
- (68) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: 336/6.
- (69) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: 1071/2.
- (70) سير أعلام النبلاء: 343/4.
- (71) البداية والنهاية: 153/9.
- (72) خاص الخاص: 86، وجمهرة توقيعات العرب: 34.
- (73) ينظر: المصدران أنفسهما، والصفحات نفسها.
- (74) ينظر: البدء والتاريخ: 14-16، ومرة الزمان في تواريخ الأعيان: 216-217/8، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب: 283/1-285.
- (75) ينظر: فصول في علم الدلالة: 141-142، ودلالة السياق، ردة الله الطلحي: 605-617، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى (بحث): 11-13.
- (76) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 880-882/3، ومجمع الآداب في معجم الألقاب: 356/6.
- (77) ينظر: المستجد من فعلات الأجواد: 123، وغرر الخصائص الواضحة: 313-314.
- (78) من الدِّمَّة: العهد، والكفالة، والحق، والخزمة، وجمعها دِمامٌ، يقال: فُلانٌ لَهُ دِمَّةٌ أَي حَقٌّ. (ينظر: لسان العرب، مادة (ذمم): 221/12).
- (79) خاص الخاص: 86، وجمهرة توقيعات العرب: 34.
- (80) الهفوات النادرة: 302-303، وجمهرة توقيعات العرب: 394.
- (81) ينظر: الهفوات النادرة: 302-303، وجمهرة توقيعات العرب: 394.
- (82) ينظر: لسان العرب، مادة (قوق): 324-325/10، وتاج العروس من جواهر القاموس، مادة (قوق): 342-343/26.
- (83) ينظر: الهفوات النادرة: 302-303، وجمهرة توقيعات العرب: 394.
- (84) سورة الشعراء: 216.
- (85) العقد الفريد: 287/4، خاص الخاص: 86.
- (86) ينظر: لسان العرب، مادة (وجأ): 190/1.
- (87) ينظر: المصدر نفسه: 287/4، خاص الخاص: 86.
- (88) ينظر: تاريخ الطبري: 341-353/4، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية: 273-274/1.
- (89) جمهرة رسائل العرب في العصور العربية: 273/1.
- (90) العقد الفريد: 40/5.
- (91) سورة الشعراء: 216.
- (92) الوافي بالوفيات: 135/29، وجمهرة توقيعات العرب: 137.
- (93) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: 4268/9، الوافي بالوفيات: 135/29، وجمهرة توقيعات العرب: 137.
- (94) سورة الرحمن: 60.
- (95) وهي الآن مدينة كبيرة، ومركز لمحافظة ديالى.
- (96) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: 4268/9، الوافي بالوفيات: 135/29، وجمهرة توقيعات العرب: 137.
- (97) جمهرة توقيعات العرب: 73، خاص الخاص: 88.
- (98) العقد الفريد: 209/4، وجمهرة توقيعات العرب: 42.
- (99) ينظر: جمهرة توقيعات العرب: 41-42.
- (100) ينظر: فتوح البلدان: 273.
- (101) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 137-138/9.
- (102) العقد الفريد: 209/4، وجمهرة توقيعات العرب: 42.
- (103) العقد الفريد: 488/4، وجمهرة توقيعات العرب: 30.
- (104) ينظر: جمهرة توقيعات العرب: 25-30.
- (105) ينظر: العقد الفريد: 488/4، وجمهرة توقيعات العرب: 30.
- (106) روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار: 94.
- (107) البيان والتبيين: 216/2.
- (108) ينظر: العقد الفريد: 94/1، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 625.
- (109) بلاغات النساء: 143.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي (ت 521هـ)، تحقيق: الأستاذ مصطفى السقا، وآخر، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1996م.
- البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي (ت: نحو 355هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد-مصر.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت 660هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر.
- بلاغات النساء: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت 280هـ)، مطبعة مدرسة والددة عباس الأول، القاهرة، 1326 هـ - 1908 م.
- بلاغة الكتاب في العصر العباسي: د. محمد نبيه حجاب، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1406هـ-1986م.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.
- تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب: د. هدى صلاح رشيد، دار الأمان-الرباط، ط1، 1436 هـ، 2015م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: 421هـ)، المحقق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط2، 2000م.
- تاريخ الأدب العربي: د. عمر فزوخ، دار الملايين- بيروت، ط4، 1981م.
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي (ت 1300هـ)، ترجمة: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، من 1979 - 2000 م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلي المزي (ت: 742هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1980م.
- التوقيعات الأندلسية: د. صلاح محمد جرار، د. محمد محمود الدروبي، منشورات جامعة آل البيت، 2000م.
- التوقيعات الفارسية المعربة: د. محمد محمود الدروبي، ود. صلاح محمد جرار، منشورات جامعة آل البيت، 1420هـ-2000م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، دار المعارف - القاهرة.
- جمهرة توقيعات العرب: د. محمد محمود الدروبي، ود. صلاح محمد جرار، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م.
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م.
- خاص الخاص: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، المحقق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة - بيروت، لبنان.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار- القاهرة، ط1 - 1991م.

- دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى-مكة، ط1- 1424هـ.
- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: مجد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت: 940هـ)، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1423 هـ.
- السياق وتوجيه دلالة النص: د. عيد بلبع، دار الكتب المصرية، ط1، 1429هـ- 2008م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله مجد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن مجد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري (ت 821هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت .
- الصباح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م .
- العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن مجد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1404 هـ .
- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، علم الكتب-القاهرة، ط5، 1998م.
- علم اللغة الاجتماعي: د. هـدسون، ترجمة: د. محمود عياد، دار الكتب- القاهرة، ط2، 1990م.
- علم اللغة الاجتماعي عند العرب: د. هادي نهر، الجامعة المستنصرية، ط1، 1408هـ، 1988م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار النهضة العربية- بيروت.
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان.
- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة: أبو إسحق برهان الدين مجد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت 718هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1429 هـ - 2008 م.
- فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: 279هـ)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988 م.
- فصول في علم الدلالة: د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب- القاهرة، ط3، 2011م.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو مجد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (ت 947 هـ)، دار المنهاج - جدة، ط1، 1428 هـ - 2008 م.
- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم مجد بن مجد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1997م.
- لسان العرب: مجد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3 - 1414 هـ.
- اللسانيات الاجتماعية عند العرب: د. هادي نهر، دار الأمل- الأردن، ط1، 1998م.
- اللغة العربية مبناها ومعناها: د. تمام حسان، دار الثقافة- المغرب، 1994م.
- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ: جهاد التُّرْبَانِي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط1، 1431 هـ - 2010 م.
- مجمع الآداب في معجم الألقاب: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت 723 هـ)، المحقق: مجد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط1، 1416هـ.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: مجد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفي الإفريقي (ت 711هـ)، المحقق: روحية النحاس، وآخرون، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 1402 هـ - 1984م.

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزّأوغلي بن عبد الله المعروف بـ(سبط ابن الجوزي) (ت 654هـ)، تحقيق: محمد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط1، 1434 هـ - 2013 م.

المستجد من فعلات الأجواد: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (ت 384هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2005 م.

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: نخبة من اللغويين العرب، مكتبة لبنان-بيروت، ط1، 1983 م.
مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.

المنتخب من غريب كلام العرب: علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ«كراع النمل» (ت بعد 309هـ)، المحقق: د محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، ط1، 1409 هـ - 1989 م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطاء، وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م.

الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين: محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصائبي، أبو الحسن (ت 480هـ)، المحقق: صالح الأشر، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق - سوريا، ط1، 1387 هـ - 1967 م.

الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420 هـ - 2000 م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

أثر السياق في فهم النص القرآني، (تفسير البيضاوي أنموذجًا): رحاب فيصل عبد الوهاب (رسالة ماجستير)، جامعة البصرة/كلية الآداب، 1435 هـ - 2014 م.

أدب التوقيعات في العصر العباسي: أميرة عبد المولى حمد الحراشنة (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت - الأردن، 1425 هـ - 2004 م.

توظيف السياق في الدرس اللغوي: الصادق محمد آدم، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الخرطوم/كلية الآداب، 2007 م.

السياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية: صالح هزلة (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر - الجزائر، 1436 هـ - 2015 م.

ثالثًا: البحوث

أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى: د. رشيد بلحبيب، مجلة اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول - المغرب.

أدب التوقيعات: سليمان مختار إسماعيل، مجلة شمالجنوب، جامعة مصراتة-ليبيا، العدد الثامن، 2016 م.
طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام: شريفة بلحوت، مجلة الأثر، عدد خاص: اشغال المؤتمر الوطني الاول حول اللسانيات والرواية، جامعة تيزي وزو-الجزائر، 2012 م.

المثل المُوْجَز في اللغة العربية، دراسة في ضوء نظرية السياق: د. عرفات فيصل المتّاع، مجلة آداب البصرة، العدد (74)، لسنة (2015).

رابعًا: المقالات

التوقيعات الأدبية: د. حمد بن ناصر الدخيل، مجلة القافلة، المملكة العربية السعودية، العدد الرابع، المجلد الرابع والثلاثون، 1986 م.